جباليا القلعة الحصينة.. هل تكون الضربة القاضية لنتنياهو؟

شارل أبي نادر
كاتب ومحلل سياسي

لم تكن عملية توغل العدوّ الأخيرة والحالية باتّجاه جباليا ومعسكرها، في شمال قطاع غزّة، العملية الأولى في هذا المسار الذي اتّبعته وحداته في المرحلة الأخيرة أو الثالثة من عدوانه. ويقوم هذا المسار على تنفيذ عمليات خاصة خاطفة وسريعة وبجهود وقوى مختلفة ومتفاوتة، تحددها طبيعة منطقة الهدف والمعطيات الاستعلامية التي استحصل عليها العدو، لناحية قوى المقاومة أو أسلحتها أو مستوى تحصيناتها في هذه المنطقة. فقد نفذ العدوّ عدة عمليات من ضمن هذه المرحلة الثالثة، في مناطق مختلفة، في شمال القطاع أو في وسطه أو في خان يونس، وانسحب منها بخسائر كبيرة أو بخسائر عادية، تبعًا لطبيعة كلّ اشتباك على حِدَةٍ. ولكن، يبدو أن عمليته الحالية في جباليا ستكون مختلفة بالكامل عن كلّ عملياته المماثلة المذكورة، وذلك لناحية حجم الخسائر أو التداعيات والتأثيرات على مجمل عدوانه المفتوح حتّى الآن على قطاع غزّة كله.

لناحية الخسائر:

حتّى الآن، يمكن القول إن خسائر العدوّ في جباليا ومخيمها، وخلال أسبوع تقريبًا من بدء العملية، قد تجاوزت ما خسره خلال المرحلتين الأولى والثانية منها، والتي امتدت لحوالي الخمسة أشهر تقريبًا. والمشاهد المنشورة لإخلاء مصابيه وقتلاه وبيانات الناطق العسكري في جيشه عن الاعتراف الواضح بخسائره تثبت ذلك. علمًا أن اعترافاته بالخسائر لم تكن يومًا صحيحة وكاملة من ناحية الأرقام، وذلك للكثير من الأسباب المعروفة، لكن يبدو أن ضخامتها اليوم أصبحت تمنعه من إخفائها والتستر عليها، ولو بالحد الأدنى. طبعًا، هناك عدة أسباب وراء هذا العدد الضخم من الخسائر التي يتكبدها العدوّ في جباليا المعسكر وجباليا البلد، ويمكن تحديدها بالآتي:

- أن المقاومة الفلسطينية في جباليا قد أعدّت معركتها الدفاعية بإتقان، مستندة أساسًا إلى بنية دفاعية قوية سابقة، واجهت عبرها سلسلة طويلة من اعتداءات العدو وعملياته الخاصة. بالإضافة إلى أنها أفادت من تجربتها الأخيرة بمواجهة العدوّ في "طوفان الأقصى"، فكانت مرحلة انكفاء وحداتها عن شمال القطاع نسبيًّا في المرحلة الأخيرة، فرصةً لتعزيز وتنظيم تحصيناتها الدفاعية وتجهيزًا لمناورة الاستهداف التي تنجح عبرها في مواجهة وحدات العدوّ حاليًا.

- في متابعة لطريقة القتال ولمناورة المواجهة التي تنفذها المقاومة حاليًا، في جباليا وفي رفح أيضًا، تظهر بوضوح فعالية أسلوب العمليات المركّبة التي أصبحت عماد معركتها اليوم، والتي تجمع بين إطلاق النار واستدراج العدوّ إلى مبنى يراه الأنسب والأقرب للاحتماء، فإذا به يكون مفخخًا، ومع تفجير التفخيخات، تعالج عناصر المقاومة الهدف بالقذائف المضادة للتحصينات وللأفراد، ولتتابع عناصر المقاومة مناوراتها المركبة بتنفيذ كمين محكم ضدّ عناصر العدو التي تهرع لإخلاء المصابين. والأهم من بين أسباب سقوط خسائر كبيرة للعدو، في عمليته الحالية على جباليا، هو أن وحداته تقاتل مرغمة لتنفيذ قرار سياسي غير متوازن، ومن دون أهداف واضحة ومن دون وجود خطة منظمة ومحدّدة، وبوجود خلافات عميقة بين الجانبين السياسي والعسكري، وحتّى هناك تباين كبير داخل الجانب العسكري نفسه، على خلفيات عدة، منها طريقة إدارة العمليات في مناطق محتمل جدًّا وجود أسرى للعدو فيها، الأمر الذي يسبب ارباكًا وتخبطًا في عملياته، ويعكس في الميدان فشلًا وإصابات قاتلة.

لناحية التداعيات والتأثيرات على مجمل عدوانه المفتوح على قطاع غزّة:

في الواقع، وفي متابعة لمسار العملية حاليًا في جباليا وفي معسكرها، لناحية المحاور المتشعبة التي يعتمدها العدوّ في توغله، أو لناحية العقد القتالية التي تواجهها المقاومة منها، لا يبدو أن هناك أفقًا واضحًا للعدو لإنهاء العملية بنجاح. إذ إنّ الأهداف غير واضحة، والتي على أساسها يمكن تحديد موعد إنهاء العملية، وحيث مستوى القدرة القتالية للمقاومة يتصاعد تدريجيًا مع كلّ توغل أعمق للعدو، ومع زيادة التوغلات للعدو وزيادة مساحات انتشار وحداته، تتعقد مناورته أكثر وأكثر، ولتكون النتيجة قتلى ومصابين أكثر وأكثر. أيضًا، لا يمكن للعدو أن يفصل عمليته في جباليا عن عمليته في رفح، فهناك ارتباط عضوي وقيادي وعملياتي أساسي بين العمليتين، وبقدر ما هو يحتاج إلى قوى وجهود لمحاولة إنهاء عملية جباليا بأقل قدر ممكن من الخسائر وبتحقيق الرمزي من المكاسب، هو أيضًا يحتاج إلى دفع جهود قوية إذا أراد اكمال مناورته الواسعة في رفح، والتي لا تقل خطورة عمليا عن جباليا، حيث تنجح وحدات المقاومة جنوبًا في رفح، مع مختلف فصائلها التي تنسق أعمالها القتالية بين بعضها البعض بمستوى رائع وفاعل، في تكبيد العدوّ أيضًا خسائر كبيرة، فتعيق تقدمه وتمنعه من السيطرة حتّى الآن على أية مساحة جغرافية حاول التوغل فيها.

في هذا السياق؛ ومع تكامل قتال المقاومة الفلسطينية بين رفح وبين جباليا، وفرض إيقاعها الذي تريده على مناورة العدو بالنار وبالعمليات المركبة الصادمة، ومع حجم الخسائر التي يتكبدها العدوّ في جباليا ومعسكرها وفي رفح، ومع العقم والعجز في تحقيق أي إنجاز عسكري أو ميداني - إلا قتل المدنيين فقط - وبالوقت نفسه مع صعوبة اتّخاذه قرارًا بالانسحاب من أي من العمليتين، في جباليا أو في رفح، وذلك لأسباب عسكرية ومعنوية وسياسية، ومع تعاظم ضغوط جبهات الإسناد اليمانية والعراقية واللبنانية على العدوّ وتأثيراتها الواضحة، يعيش قادة العدوّ اليوم، وخاصة نتنياهو، ورطة الفشل والعجز والهزيمة. ويبدو أن قرار رضوخهم والسير بالتسوية التي ما تزال مطروحة وبموافقة المقاومة الفلسطينية، أصبح أقرب بكثير من قرارهم بمتابعة مسار الانتحار الذي لا يمكن لأي متابع عاقل إلا وأن يكتشفه.

> المقاومة الفلسطينية في جباليا قد أعدّت معركتها الدفاعية بإتقان، مستندة أساسًا إلى بنية دفاعية قوية سابقة، واجهت عبرها سلسلة طويلة من اعتداءات العدو وعملياته الخاصة

ما بين الأميركي والصهيوني «اختلاف» وليس «خلافًا»

سارة عليان
كاتبة ومحللة سياسية

لم يغب مشهد "التذمر" الإعلامي عن التصريحات الأميركية وكذلك الصهيونية طيلة فترة الحرب الوحشية على قطاع غزّة، تذمر متبادل أريد منه تبيان صورة الخلاف القائم بين طرفي الإبادة، والترويج له تحت هذا المسمى لاعتبارات تخدم مصالح كلّ منهما على حدة. وأكذوبة "الخلاف" الأميركي - الصهيوني باتت باهتة مع دخول الحرب الوحشية على غزّة شهرها الثامن، وفي كلّ مرة تعلو فيها نبرة أحد الطرفين، تتلاشى معها مصداقية التصريحات العلنية منها والمسرّبة، لأن ما بين الأميركي والصهيوني حقيقةً هو "اختلاف" وليس "خلافًا"، وحتّى الاختلاف القائم يقف عند حدّ أو سقفٍ معيّن ولا يقود إلى حدّ التصادم بينهما.

الحقيقة أن هذا الاختلاف لا يطال الأهداف والاستراتيجيات العليا المتفق عليها بين الحليفين، بل يقتصر على التكتيكات والخطط والأدوات، لأن دعم "إسرائيل" والحفاظ على أمنها وتفوقها العسكري والاستخباراتي هو أولوية بالنسبة للإدارة الأميركية مهما كانت، جمهورية أو ديمقراطية، إذ يعد هذا الأمر حاسمًا ومتفقًا عليه لدى كلّ أقطاب الحكم في أميركا. ولفهم سياق الاختلاف القائم حاليًّا بين الأميركي والصهيوني، لا بد من التفريق بين أمرين، الأول وهو نمط العلاقات الاستراتيجية والشراكة التي تربط بين أميركا كدولة و"إسرائيل" من جهة، وبين بايدن وحكومة نتنياهو من جهة أخرى، في إطار العلاقة الأولى قدم بايدن كلّ أنواع الدعم المطلق للكيان الصهيوني، اقتصاديًا وسياسيًا وعسكريًا وحتّى قانونيًا في مجلس الأمن الدولي، وهذا الدعم الأميركي لم ولن يتغير فعليًا على أرض الواقع، فضلًا عن تأكيد بايدن المستمر على هذا الدعم المطلق لـ "إسرائيل" في كلّ تصريحاته.

أما في إطار العلاقة الثانية، فلابد هنا من العودة بالذاكرة إلى الوراء قليلًا، وتحديدًا قبل بدء عملية طوفان الأقصى، حيث سادت حالة من الفتور بين إدارة بايدن وحكومة نتنياهو، لا سيما بعد معارضة الأولى للإصلاحات القضائية التي قامت بها حكومة نتنياهو المتطرّفة، يضاف لذلك أيضًا أن بايدن لم يدع "نتنياهو" للبيت الأبيض بعد توليه الرئاسة، على خلاف ما هو متعارف عليه في السياسة الأميركية.

مع دخول الحرب الصهيونية الوحشية على غزّة شهرها الثامن، لم تحقق حكومة نتنياهو المتطرّفة أيًّا من أهداف الحرب المعلنة، والتي تمثلت بشكل أساسي في القضاء على حركة حماس وإعادة المخطوفين الصهاينة ومنع أي تهديد من قطاع غزّة، بينما كان الأمر الوحيد الذي حققته هو الدمار الهائل للقطاع وقتل ما يزيد عن ٣٥ ألف شهيد فلسطيني معظمهم من الأطفال والنساء، بالإضافة إلى وجود ٨٠ ألف مفقود وجريح، ومع تعاظم الكارثة الإنسانية والإبادة الجماعية وحرب المجاعة في غزّة، وإصرار الكيان الصهيوني على التهجير القسري للفلسطينيين، بدأت إدارة بايدن تعبر عن امتعاضها بسبب تجاهل كيان العدوّ لمطالبها ولا سيما تلك المرتبطة بمحاولة تقليص عدد الضحايا المدنيين، وبالطبع هذا الامتعاض منبعه ليس حماية أرواح الفلسطينيين، وإنما لأن العدد الهائل من الشهداء والجرحى أحرج واشنطن، ويكاد يطيح بأهدافها الاستراتيجية في المنطقة، وسُمعتها في العالم. هذه التداعيات شملت أيضًا تزايد الضغوط والمعارضة الداخلية في الحزب الديمقراطي، ومناصريه، خاصة بين الشباب والعرب والمسلمين والأقليات الأخرى ضدّ سياسة بايدن، والذين أعلنوا عن عدم تصويتهم له في الانتخابات الرئاسية المقبلة، وهو ما ظهرت ملامحه في الانتخابات التمهيدية في العديد من الولايات، وهو ما قد يهدّد فرص بايدن في الفوز بولاية ثانية خاصة مع تقدم منافسه الجمهوري ترامب في استطلاعات الرأي، يضاف ذلك ما تشهده الجامعات الأميركية من تظاهرات داعمة للقضية الفلسطينية.

رغم أن إدارة بايدن باتت تشعر بأن حكومة نتنياهو تشكّل عبئًا استراتيجيًا عليها، ورغم أن لهجتها وخطابها السياسي تجاه نتنياهو وحكومته بدأت تتغير نوعًا ما، مثل معارضة بايدن لأي عملية برية صهيونية في رفح ما لم تكن هناك خطة موثوقة لإجلاء المليون ونصف المليون فلسطيني، ودعوة زعيم الأغلبية الديمقراطية في مجلس الشيوخ إلى إجراء انتخابات جديدة في "إسرائيل" وتغيير نتنياهو وكذلك التأكيد على ضرورة حل الدولتين لضمان انخراط الكيان المحتل في المنطقة، إلا أن هذا التغير يبقى محصورًا فقط بالخطاب السياسي ولا يعكس تبدّلًا جذريًا في السياسة الأميركية تجاه الحكومة الصهيونية.

الحقيقة إذن أن ما بين الأميركي والصهيوني لا يرقى لمستوى الـ"خلاف"، بل يظل ضمن نطاق الاختلافات في الأساليب والعمليات، ولا يطال المصالح الاستراتيجية المشتركة بين الطرفين، فـ"إسرائيل" المجرمة ليست سوى نسخة مصغرة عن سيدتها أميركا، وما هي في الأساس سوى وسيلة ووكيل معتمد لتحقيق الهيمنة الأميركية في الشرق الأوسط وتعزيز سياستها الظالمة والاستكبارية في العالم.

> أكذوبة «الخلاف» الأميركي - الصهيوني باتت باهتة مع دخول الحرب الوحشية على غزّة شهرها الثامن، وفي كلّ مرة تعلو فيها نبرة أحد الطرفين، تتلاشى معها مصداقية التصريحات العلنية منها والمسرّبة

التحليل الإخباري

السيد عبدالملك الحوثي ورسائل الخطاب الأخير

اسماعيل المحاقري
كاتب ومحلل سياسي

في إطلالته الأسبوعية للحديث عن تطوّرات غزّة، في شقيها الإنساني والعسكري ومآلات وتداعيات التصعيد الصهيوني في رفح، حدد قائد "أنصار الله" سماحة السيد عبدالملك الحوثي مسارات جديدة للحرب ووجه رسائل عدة للداخل والخارج.

بادئ ذي بدء، استعرض حصيلة ضحايا جرائم حرب الإبادة الجماعية والتجويع التي يرتكبها العدوّ الصهيوني بدعم ومشاركة أميركية غربية. وأشار إلى الصمت المطبق والتخاذل العربي الإسلامي الذي يشبه التخاذل في يوم النكبة الفلسطينية. تماسك فصائل المقاومة وقدرتها على المواجهة والتنكيل بالعدو ما تزال محل إعجاب وإكبار السيد كونها من الشواهد الواضحة على الفشل الإسرائيلي في تحقيق أهدافه المعلنة بالرغم من الوحشية المفرطة ومؤشرًا على أن المعركة في رفح ستزيد من استنزاف العدوّ وتعجّل بهزيمته الحتمية.

في سياق الحديث عن مسارات الحرب وجبهاتها الموازية، ركز السيد حوثي على أهمية جبهة لبنان وفاعليتها كونها جبهة مباشرة مع جيش العدوّ وقطعان مستوطنيه، إضافة إلى جبهة العراق التي أدخلت إلى خط المواجهة صواريخ كروز المجنحة ذات التأثير الكبير في ضرب الأهداف الحيوية والحساسة. وعن جبهة لبنان، تجمع الأوساط الصهيونية على أنها حرب استنزاف غير مسبوقة، وأن استمراريتها يعني انهيار جيش العدو واقتصاد الكيان، وهذا يعزز ما أشار إليه السيد لا سيما وأن حزب الله يقود المعركة بإيقاع منتظم، ولديه من المفاجآت ما يربك حسابات العدوّ وتفرمل خططه التصعيدية.

وفي معرض حديثه عن عزم اليمن على تقوية عملياته البحرية على مستوى الزخم وقوة الضربات، أكد السيد مواصلة الإعداد لمرحلة خامسة من التصعيد طالما استمر العدوان والحصار على غزّة. ومن المحيط الهندي إلى البحر الأبيض المتوسط مرورًا بالبحر العربي والبحر الأحمر، حدد السيد الحوثي مسرح العمليات اليمنية وفقًا للمديات الممكنة ضدّ أية سفينة تحاول الوصول إلى موانئ فلسطين المحتلة، ومن أي جنسية كانت، حتّى لو كانت روسية أو صينية.

في هذا السياق، وجه السيد الحوثي رسالة إلى هاتين الدولتين لتفهم الموقف اليمني الضروري والإنساني من حظر مرور السفن المرتبطة بالعدو الصهيوني في البحر المتوسط كما تفهمت ذلك في البحر الأحمر وبالتالي تأمنا سلامة ملاحتهما البحرية. في هذه الرسالة تأكيد بأن لا خطوط حمر تمنع اليمن عن مساندة غزّة، ولا تراجع أو استثناءات لكائن من كان. والتفهم الروسي الصيني لرسالة السيد تعني مضاعفة الضغوط الدولية لوقف جيش العدوّ الصهيوني المجازر بحق الشعب الفلسطيني ورفع الحصار والسماح بدخول المساعدات الإنسانية إلى جميع مناطق القطاع المحاصر.